

## دلائل الإعجاز

يلبسانِ المجد . فإن ذلك من أجل أنه لا يُؤتى بالاسم مُعرِّى من العوامل إلاَّ لحديثٍ قد نُويَّ إسنادُهُ إليه . وإِذا كان كذلك فإنَّذا قلتَ : " عبدُ الله " فقد أشعرتَ قلبه بذلك أنك قد أردتَ الحديثَ عنه فإنَّذا جئتَ بالحديثِ فقلتَ مثلاً : قامَ أو قلتَ : خرجَ أو قلتَ : قدِمَ فقد عَلِمَ ما جئتَ به وقد وطَّأتَ له وقدمتَ الإِعلامَ فيه فدخلَ على القلبِ دخولَ المأنوسِ به وقتيلته قَيُولَ المتهية له المطمئنِّ إليه وذلك - لا محالة - أشدُّ لثبوتِهِ وأنفَى للشُّبُهَةِ وأمنع للشكِّ وأدخلُ في التَّحقيقِ .

وجُمْلَةُ الأمرِ أنَّهُ ليسَ إعلَامُكُ الشَّيْءِ بَعْتَةً مِثْلَ إعلَامِكُ له بعدَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ والتَّسَدِّمَةِ له لأنَّ ذلكَ يَجْرِي مَجْرَى تَكْرِيْرِ الإِعلَامِ فِي التَّأكِيدِ وَالإِحْكَامِ وَمِنْ هَاهُنَا قَالُوا : إنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَضْمِرَ ثُمَّ فُسِّرَ كَانَ ذَلِكَ أَفْخَمَ لَهُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ إِضْمَارِهِ وَيَدْخُلُ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالُوهُ أَنَّ نَعْلَمُ ضَرْوَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَإِنْ زَهَبَ لَّا تَعْلَمَى الْأَبْصَارُ ) فَخَامَةٌ وَشَرْفَاءٌ وَرُوعَةٌ لَا نَجْدُ مِنْهَا شَيْئًا فِي قَوْلِنَا : فَإِنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَعْمَى . وَكَذَلِكَ السَّبِيلُ أَبْدَاءٌ فِي كُلِّ كَلَامٍ كَانَ فِيهِ ضَمِيرٌ قِصَّةٌ .

فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَإِنْ زَهَبَ لَّا يُفْجِحُ الْكَافِرُونَ ) يَفِيدُ مِنَ الْقُوَّةِ فِي نَفْيِ الْفَلَاحِ عَنِ الْكَافِرِينَ مَا لَوْ قِيلَ : إِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يُفْلِحُونَ لَمْ يُفْهِدْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّكَ تَعْلَمُهُ إِيَاهُ مِنْ بَعْدِ تَقَدُّمِهِ وَتَنْبِيهِ أَنْتَ بِهِ فِي حُكْمِ مَنْ بَدَأَ وَأَعَادَ وَوُطِّدَ ثُمَّ بَيَّنَّ وَلَوْ سَحَّ ثُمَّ صَرَّحَ . وَلَا يَخْفَى مَكَانُ الْمَزِيَّةِ فِيمَا طَرِيقُهُ هَذَا الطَّرِيقُ .

وَيَشْهَدُ لِمَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَحْدَثِ عَنْهُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ الْخَبْرِ وَتَحْقِيقَهُ لَهُ أُنَّ إِذَا تَأْمَلْنَا وَجَدْنَا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ يَجِيءُ فِيمَا سَبَقَ فِيهِ إِنْكَارٌ مِنْ مُذْكَرٍ نَحْوُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالَّذِي تَقُولُ فَتَقُولُ لَهُ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنْ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَقُولُ وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى خَصْمِي . وَكَقَوْلِ النَّاسِ : هُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَإِنْ أَنْكَرَ وَهُوَ يَعْلَمُ الْكَذِبَ فِيمَا قَالَ وَإِنْ حَلَفَ عَلَيْهِ . وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) فَهَذَا مِنْ أَبْيَنِّ شَيْءٍ